

رهانات أردوغان السلطانية عشية مئوية الجمهورية

والتصميم مثل كمال كليدار أوغلو زعيم حزب الشعب الجمهوري، الذي يرفض صعود أكرم إمام أوغلو عمدة إسطنبول الأكثر أهلية لمقارعة أردوغان، وينطبق ذلك على الإخوة - الأعداء مثل الدكتور أحمد داوود أوغلو أو علي باباجان. أما الطرف الكردي المعارض الأساسي العامل بتعليمات عبدالله أوجلان فيقدم لأردوغان هدية تيمينة بأسلوب عمله خاصة عدم ترك الحرية والهامش الواسع لشخصية مثل صلاح الدين دميرطاش زعيم حزب الشعوب الديمقراطي ليطلع دورا في تجميع القوى المعارضة وطرح بديل مقبول في مواجهة النهج السلطاني. وتبعاً لذلك بناور رجب طيب أردوغان مثل طرح إعداد دستور جديد لكي يؤكد على الحكم الرئاسي ويكمل تدبير الحكم البرلماني في موازاة حملة قمع لا سابق لها منذ محاولة الانقلاب الفاشلة في صيف 2016. وكل ذلك أتاح له الإمساك بكل مفاصل السلطة. وإضافة إلى ذلك يريد أردوغان استكمال الهيمنة الداخلية من خلال إطلاق مشاريع ضخمة مثل قناة إسطنبول ومطار إسطنبول الجديد والجسور المعلقة استعداداً لمعركة الرئاسة عام 2023. ويتراقب ذلك مع إبراز النفوذ الإقليمي والعالمي عبر المغامرات والعمليات الخارجية وأخرها عملية جبال قارا في شمال العراق (عملية من قبل الجانبين) 2 التي كان حصادها مؤملاً للجانبين) بالإضافة إلى تدخلات عسكرية واسعة في ليبيا وسوريا وجنوب القوقاز.

ولفت أنظار المراقبين قيام قناة "تي. آر. تي" إلى الحكومة التركية في 12 فبراير الحالي بعرض خارطة لمناطق النفوذ التركي المتوقعة بحلول عام 2050. حسب أحد المحللين السياسيين الأميركيين. وتشمل الخارطة سوريا والعراق والأردن (من الملاحظ استبعاد إسرائيل) ومصر وليبيا وشبه الجزيرة العربية بأسرها واليونان، إضافة إلى منطقة ما وراء القوقاز وبعض الأقاليم في جنوب روسيا والقرم وشرق أوكرانيا وأجزاء من كازاخستان وتركمناستان تطل على بحر قزوين.

بالطبع، تبدو هذه الخارطة مجرد سيناريو لأحد الباحثين، لكن من المستغرب ترويجها عبر الإعلام الرسمي التركي. ويذكرنا ذلك بمخطط "الوطن الأزرق" والذي كان العطاء للأعمال العسكرية في بحر إيجة وشرق المتوسط وليبيا. هكذا تحت عنوان "العثمانية الجديدة" سيصعب الانسحاب من ليبيا بالرغم من القرارات الأخيرة، وسيكون هناك أكثر من محك لممارسات أردوغان خاصة مع تمرکز إدارة جو بايدن وقد برز أول خلاف بين واشنطن وأقرة خلال العمليات التركية الأخيرة في العراق. نجح الرئيس رجب طيب أردوغان في الرقص على الحبال المشدودة بين واشنطن وموسكو والأطراف الأوروبية، لكن مع الحكم الجديد في واشنطن والتناغم الأميركي - الأوروبي سيضيق هامش المناورة الأردغانية.

يحاول الرئيس التركي تضخيم الخطر الكردي ويكاد يجعله نوعاً من العقدة الكداء لكنه في الحقيقة ذريعة مثالية لنشد العصب القومي، ومما لا شك فيه أن الفضل الاقتصادي من جهة والمغامرات الخارجية المكلفة سيمثلان نقاط ضعف أردوغان في كامله من الآن حتى 2023، حيث سيتوقف الأمر على مستقبل صراعات الإقليم وموقف واشنطن من رجب طيب أردوغان بالذات.

د. خطر أبو دياب

أستاذ العلوم السياسية، المركز
الدولي للحيوبوليتيك - باريس

يبدع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في سباق مع الزمن قبل موعد مئوية تأسيس الجمهورية التركية في 2023 والذي يتزامن مع الانتخابات الرئاسية. يراهن أردوغان الموجود بشكل أو بآخر في صدارة المشهد السياسي التركي منذ 2002، على أن يكون استحقاق 2023 مصيرياً لجهة تحقيق طموحاته في تحويل تركيا كي تحاكي طموحاته السلطانية. ولهذا ينتقل الرئيس التركي في نشاطاته وتدخلاته ومغامراته من المشرق المجاور إلى القوقاز ومن البحر الأبيض المتوسط إلى القرن الأفريقي، ويستمر في ممارسة القبضة الحديدية لإخضاع معارضيه مراهنًا على تغيير وجه تركيا وضرب إرث أتاتورك. لكن أردوغان اعترف أخيراً بأن أهداف المئوية التركية 2023 (التي كان قد حددها حزب العدالة والتنمية في 2011) لن تتحقق في هذا الموعد، لأنه في 2011 كان الاقتصاد التركي يشهد ازدهاراً، واليوم انقلب الوضع تماماً ويستحيل حصول قفزة نوعية في ظل أزمة اقتصادية ونقدية حادة. إنه كعب أخيل أردوغان في الداخل التركي المنقسم بعمق، ولذلك تخشى المعارضات التركية من حالة انقلاب دائم يقودها السلطان الجديد من دون الالتفات إلى الثمن.

حسب الأهداف الموضوعة كان يرتجى رفع الناتج الإجمالي المحلي إلى تريليوني دولار، ورفع متوسط دخل الفرد إلى 25 ألف دولار سنوياً، علاوة على رفع حجم الصادرات بنحو 500 مليار دولار، وتقليص نسبة البطالة إلى حد 5 في المئة. لكن المؤشرات الحالية للاقتصاد التركي تبين أن المسافة شاسعة بين التصور والواقع إذ إنه في العام الأخير وصل الناتج المحلي الإجمالي إلى 784 مليار دولار، وبقي متوسط الدخل الفردي أقل من 10 آلاف دولار. وتجاوز البطالة حالياً معدل 30 في المئة. ومن هنا أنت محاولات متاخرة في تغيير النهج وطريقة إدارة النقد لكنها بقيت من دون نتائج ملموسة مع استمرار تدهور سعر صرف العملة الوطنية. والغريب أن أردوغان يبدو مصراً على طموحات يصفها البعض بالهوائية لكنها على الأقل حافلة بالمبالغة مثل تبشيره بآول تواصل مع الفضاء في 2023 وبيّنزال رواد فضاء أترك على سطح القمر في غضون عشر سنوات، مع العلم أن ميزانية وكالة الفضاء التركية تبلغ أقل من 800 ألف دولار سنوياً. وهذا لا ينقص من قدرات الأترك وحبوليتهم، لكن الترويج في هذا التوقيت هو مثار التساؤل إذ إن الإمكانيات المحدودة تطرح بقوة مسألة التوقيت، ومن غير المستبعد ربط ذلك بحدث حصل قبل أيام قليلة وهو وصول المسبار الإماراتي إلى المريخ.

ومن هنا عندما يعلن أردوغان عن مشاريع كبرى (طابعها هامبوني سلطاني) يسعى للعودة إلى الإرث الإمبراطوري ولكنه يود التأكيد على حضور تركيا السياسي والعلمي في سياق صراعات النفوذ بمنطقة الشرق الأوسط وشرقي المتوسط. والبيدهي أيضاً أن هكذا إعلاناً كما غيره يهدف إلى عدم التركيز على المشاكل الاقتصادية وإثارة الحس القومي والوطني.

على أبواب مئوية الجمهورية، لا بكل أردوغان ولا بكل في المناورة الدستورية من جهة أو الاستدراج وتقسيم المعسكر المعارض من جهة أخرى، خاصة أن الخصوم السياسيين له لا يجارونه في الدهاء.



عودة المندوبين الساميين: غطرسة مبكرة لإدارة بايدن

الأوسط. الآن هو يفتي بما يجب أن يحدث في اليمن. إذا صحت التسريبات، فإن دونالد بوث سيكون مبعوثاً أميركياً للقرن الأفريقي. مرة أخرى هناك رسائل من تعيين سفير أميركي سابق في عدد من الدول الأفريقية غير العربية مندوباً للقرن الأفريقي. أهم الرسائل أن الملف أمني تحله واشنطن مع قيادات المنطقة، وأن لا مكان للتدخلات من دول عربية باحثة عن النفوذ في القرن الأفريقي.

للإنصاف، دور المندوب السامي أو المبعوث الخاص بدأ وأخر عهد الرئيس رونالد ترامب. منصب نائب المندوب الدولي لليبيا احتلته الأميركية ستيفاني ويليامز. بعد أخذ ورد وتدخلات وجدل أوروبي وتركي وعربي، لوحت بالعصا الأميركية السحرية. أبلغت السياسيين الليبيين أن يذهبوا إلى جنيف وأن يعودوا بمجلس رئاسة ورئيس حكومة وإلا... مشهد يذكر باقتياد زعماء يوغسلافيا السابقة إلى قاعدة ديتون الأميركية في التسعينات تحت إشراف مساعد وزير الخارجية الأميركي في حينها ريتشارد هولبروك. خيّرهم بين توقيع الاتفاق أو محاكمات جرائم الحرب. فهموا الرسالة ووقعوا. نتوقع مستقبلاً مزهاً لوليامز في قائم الأيام.

رسم الحدود والسقوف في التعامل بين الإدارة الجديدة والمنطقة مستمر، وصمت المكالمات التي لم تحدث بين بايدن وقادة المنطقة يصمّ الأذان. المعادلة الجديدة التي تريد إدارة بايدن إرساها بسيطة إذا: تفكر ونقرر ونبلغكم بالتنفيذ وما عليكم إلا أن تتجاوبوا، وأن تنفقوا على مشاريعنا السياسية لإصلاح ما أفسدتموه في المنطقة. الضغوط تسبق الحديث في أي شيء، وملفات حقوق الإنسان والحروب موجودة يتم التلويح بها بلا حد أدنى من الدبلوماسية.

مفردة "غطرسة" مستهلكة جدا منذ نهايات عهد الاستعمار في منطقتنا. استخدمها الزعماء العرب والقوميون والوطنيون والإسلاميون. أكثرها منها فضاء معناها وصارت مبتذلة. ولكن لا أجد وصفاً آخر يمكن أن يشخص ما يحدث من الإدارة الأميركية الجديدة في التعامل مع المنطقة وقضاياها. بالتاكيد آخر توصيف يمكن استعماله هو دبلوماسية.

الرئيس إلى الوزير، ومن الوزير إلى المندوب. باب البيت الأبيض أغلق، وباب الخارجية الأميركية يمز عبر حارس اسمه المندوب.

في
المعادلة الجديدة التي تريد
إدارة بايدن إرساها بسيطة:
تفكر ونقرر ونبلغكم بالتنفيذ
وما عليكم إلا أن تتجاوبوا،
الضغوط تسبق الحديث
في أي شيء، وملفات حقوق
الإنسان والحروب موجودة يتم
التلويح بها

مرة أخرى تتكرر خطورة عمل المندوب. دوره الآن غير واضح ولا مقيد بمحددات. يستطيع أن يفعل ويقول ما يشاء. لا هو بسفير ولا هو بوزير ولا مَرَّ على تمحيص الكونغرس. لكن الخطر أكبر إذا أدرنا أن واشنطن التي اعتادت على فرض الأمر الواقع بقواتها وإمكانياتها السياسية والدبلوماسية المباشرة، تريد الآن أن تتكفي بإبلاغ الدول المعنية ماذا عليها أن تفعل وأن تلتزم به. طور جديد من الدبلوماسية: أم عنجبهة إمبراطورية مستعادة: ربما شيء من الأتئين. كل شيء جاهز تقريباً للإدارة الأميركية الجديدة. السبب بسيط يكمن في أنه الموسم الثالث من إدارة الرئيس السابق باراك أوباما. كل يعرف مكانه وكل يستعد لدوره. الإدارة الجديدة عملت الواجب المنزلي مبكراً من قبل أن تدخل البيت الأبيض. يوم دخلت، بدأت الفعل فوراً.

خذ روبرت مالي المبعوث الأميركي للملف الإيراني (المبعوث تنويع على مندوب). يعطيك الانطباع بأنه قد عاد من إجازة ويستكمل العمل في الملف بعد فترة توقف. باشر من أول لحظة وأجرى اتصالاته مع كبار المسؤولين في المنطقة يبلغهم بما عليهم أن يتوقعوا من هذه الإدارة الآن. ثم التفت هو وإدارته إلى أوروبا وإيران لأنه يعتقد أن كل شيء سيتم هناك وما عليه إلا إبلاغ المنطقة بخطوات المفاوضات وقت الضرورة ثم الالتزام بها من دون الجلوس على طاولتها. المبعوث الأميركي لليمن ديفيد ليندركينغ متخصص في الجزيرة العربية. اختياره فيه رسائل كثيرة. يعرف المنطقة، لكنه كان دائماً موظفاً صغيراً في الخارجية. لم يعمل سفيراً في دولة وأقصى منصب وصل إليه هو نائب مساعد وزير الخارجية للشرق

تفوض الأمر لحكومة الهند وحكومة الهند تفوض مندوبها السامي. يصبح الشأن الخليجي والعراقي تفصيلاً إدارياً في واحدة من إدارات المستعمرات. انتهى عهد الانتداب وعهود الاستعمار والحمايات وتأسست الدول الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية وانتهاء الدور الإمبراطوري البريطاني، عسكرياً أولاً وبسبب الضغط الأخلاقي وحركات التحرر ثانياً. أغلقت ملفات المندوبين الساميين وتارشف تاريخ السير بيرسي كوكس والخاتون بيل في الخارجية البريطانية وفي الجمعية الجغرافية الملكية. غيرت الدول الكبرى من سلوكها في التعامل مع الدول الحديثة وصار وزراء خارجيتها مسافرين نشطين يتجولون ويقنعون ويضعفون.

استعجل الزمن وتحرك إلى يومنا هذا. الحياة تدب بفكرة المندوبين الساميين من جديد. هي نوع من الإبداع السياسي الأميركي الجديد، ولم تغب لحظة عن الإبداع السياسي البريطاني القديم. واشنطن تنثر اليوم علينا مندوبها الساميين. مندوب لإيران ومندوب لليمن وقريبا مندوب للقرن الأفريقي. بريطانيا استحدثت منصبا اسمه مندوب منطقة الخليج. تسلمت إدارة الرئيس الأميركي الجديد جو بايدن بأخطاء الدبلوماسية المباشرة لسلفه دونالد ترامب. هذه "الأريحية" في التعامل مع البيت الأبيض مباشرة خفضت مستوى تعامل الدول لمستويين. من

في الخليج أو المندوب السامي في العراق هما السقف السياسي والدبلوماسي الذي يمكن للمنطقة التعامل معه. كانا يتبعان حكومة الهند (سيملا)، وحكومة الهند تتبع الحكومة البريطانية. وزارة الخارجية البريطانية، وبالطبع رئاسة الحكومة،

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

في ذروة قوتها، عمدت الإمبراطورية البريطانية إلى تقسيمات سياسية وإدارية للإشراف على مناطق النفوذ والمستعمرات بمنطق إداري فريد. استحدثت منصبا اسمه المندوب السامي. منصب بين بين. لا هو بوزير ولا هو بحاكم. لكنه على الأرض كان يعني الكثير. هذا ما يعرفه المهتمون بتاريخ الشرق الأوسط الحديث. المقيم البريطاني في الخليج ثم المندوب السامي في العراق السير بيرسي كوكس هو صاحب اليد الطولى في رسم معالمنا اليوم. بصماته، وملاحظات السكرتيرة الشرقية (الخاتون) المس غيرت دور بيل، الاثنان معا خطا لاحقا في مؤتمر القاهرة خارطة دول المنطقة وتوزيع القوى فيها. السير بيرسي شيد عمارة العراق الحديث على أنقاض الولايات العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. لا تكمن خطورة مهمة المندوب السامي بأنه قائد عسكري وسياسي.

كل حكام المستعمرات كانوا كذلك طالما تتوفر لديك القوة العسكرية من جنود الاحتلال والميزانية، يمكن أن تسير الأمور. الذكاء في مهمة المندوب السامي أنه بلا هذا كله. أتى السير بيرسي بفكرة تأسيس الحكم الوطني في العراق تحت سلطة الانتداب، ثم تأسيس الجيش العراقي. لماذا تحكم بريطانيا العراق مباشرة في حين بوسعها الحكم من خلال إدارة حكومية عراقية وقوات عسكرية من أبناء البلد؟ المهم النتيجة. سلطة الانتداب حاضرة وتقرض ما تريد. وبلا مقابل عمليا، لا بالمال ولا بالرجال. عبقرية بريطانية.

المقيم البريطاني في الخليج أو المندوب السامي في العراق هما السقف السياسي والدبلوماسي الذي يمكن للمنطقة التعامل معه. كانا يتبعان حكومة الهند (سيملا)، وحكومة الهند تتبع الحكومة البريطانية. وزارة الخارجية البريطانية، وبالطبع رئاسة الحكومة،